

الجمعة 16 جمادى الآخرة 1442 الموافق 29 يناير 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

## الإيمان بالصراط

إن من أركان الإيمان، الإيمان باليوم الآخر. ولقد أخبرنا الله في كتابه الحكيم عن هذا اليوم وأهواله وعلاماته، وسماه سبحانه بأسماء كثيرة. قال العلماء: كلُّ ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه. فسَمَّاه يوم البعث والجزاء والحشر، والنشر والتناد والحساب والفصل، ودار القرار ودار الخلود، وسمَّاه بيوم الخروج والخلود والحسرة والتغابن، تنويها بشأنه، وتنبيها للعباد ليخافوا منه، وأن يذكره كل يوم على الأقل سبع عشرة مرة في سورة الفاتحة في قوله جل شأنه: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أي: يوم الجزاء، حتى يستعدوا له بالإيمان والعمل الصالح.

أيها الناس

من مواقف هذا اليوم العظيم، موقف المرور على الصراط. والصراط هو جسر منصوب على متن جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، وهو أدق من الشَّعر، وأحد من السيف.

أيها المسلمون

لقد دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع العلماء على أن الصراط حق، لذا وجب على المسلم اعتقاده والتصديق بوقوعه، وحمله على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يُحصى إلا بكلفة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ (مريم 71-72). والورود هو المرور على الصراط كما فسره بذلك عبدالله بن مسعود وغيره.

من يمر على الصراط؟

ثم إن الصراط يُنصب لأتباع الرسل من المؤمنين الكمل، وأهل المعاصي وفيهم المنافقون، وهؤلاء يجتمعون وتلقى عليهم الظلمة قبل الصراط، ثم يعطون من النور ما يناسب أحوالهم، وبه يكون المرور على الصراط. عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سأل يهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين يكون الناس يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسَّمَاوَاتُ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هُمُ فِي الظُّلْمَةِ ذُونَ الجِسْرِ» (رواه مسلم) وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ اللَّيُّومَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (سورة الحديد)

أما الكفار والمشركون فتنبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا من الآلهة الباطلة، فيساقون إلى النار مباشرة، لأنهم لم يكونوا عابرين على صراط الله في الدنيا.

إخوة الاسلام

ورد ذكر الصراط في السنة النبوية بتفاصيل عديدة وأوصاف دقيقة، أذكر طرفا منها:

عن أبي سعيد الخدري قال: سأل الصحابة النبي عن الجسر. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَّاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكَةٌ مَفْلُطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا» (البخاري)

قال النووي رحمه الله: والدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر (شرح مسلم

قوله كلاليب: جمع كلوب بفتح الكاف وهو حديدة معطوفة الرأس يُعَلَق عليها اللحم (العيني في عمدة القاري 316/20)

وقوله: حَسَكَة، قال صاحب التهذيب الحَسَك: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد وهو من آلات الحرب. مُقْلَطْحَة: أي عريضة. عُقَيْفَاء: مُعَوَّجَة

وقوله السَّعْدَان: قال الحافظ في الفتح: جمع سعدانة وهو نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه. أجاويد الخيل: جمع الأجود وهو جمع الجواد وهو فرس بين الجودة.

الرَّكَّاب: الإبل واحدها الراحلة من غير لفظها. (عمدة القاري 320/20) قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: فَنَاجِ مَسَلَمٌ... إِيخَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ: قَسَمَ يَسْلِمُ فَلَا يِنَالُهُ شَيْءٌ أَصْلًا، وَقَسَمَ يُخَدِّشُ ثُمَّ يُرْسَلُ فَيُخَلِّصُ، وَقَسَمَ يُكْرِدُسُ وَيُلْقَى فَيَسْفُطُ فِي جَهَنَّمَ (شرح مسلم 3/29) أول من يجوز على الصراط رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل، قال عليه الصلاة والسلام: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرَّسْلِ بِأَمْتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرَّسْلُ، وَكَلَامُ الرَّسْلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» (رواه البخاري)

يعني: الرسل يسألون الله السلامة والنجاة لأن الموقف عظيم والهول شديد.

الأمانة والرحم على الصراط

ثم إن هناك أمرين عظيمين يقومان على جنبي الصراط وهما الأمانة والرحم. قال صلى الله عليه وسلم: «وَتُرْسَلُ الأمانةُ والرحمُ، فَتَقُومَانِ جَنبَيْ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا» (رواه مسلم عن أبي هريرة وحذيفة) أقول إن ذكر الأمانة والرحم في هذا الموقف العظيم فيه تأكيد على عظيم شأن هذين الأمرين، لذا علينا أيها المسلمون برعاية الأمانات وأدائها إلى أصحابها، وبر الوالدين وصلة الأرحام.

آخر من يمر على الصراط

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ آخِرَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ فَهُوَ يَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ أُخْرَى حَتَّى إِذَا جَاوَزَهَا التَّفَّتْ إِلَيْهَا فَيَقُولُ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْهَا فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ» (رواه ابن حبان)

قال تعالى: ﴿فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران 185)

ثم ماذا يكون للمؤمنين بعد عبور الصراط؟ الجواب في الحديث الآتي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُفْتَضُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هَدَّبُوا وَنُقُوا أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِأَحَدِهِمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» (أخرجه البخاري)

معاشر المسلمين: بهذه الباقية من النصوص الواردة في الصراط يُعَلِّمُ عَظِيمُ الْمَوْقِفِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ فِيهِ مِنَ الْأَمْنِينَ.

أيها الناس

إن من استقام سَيْرُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، اسْتَقَامَ مَشِيهِ عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَثْنِ جَهَنَّمَ. وَمَنْ زَاغَ عَنِ الصِّرَاطِ فِي الدُّنْيَا زَاغَ عَنِ الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

ومن الأعمال الصالحة التي تكون سببا في نجات العبد يوم القيامة وتثبيت قدمه على الصراط: نصرة المظلومين والسعي في قضاء حوائج الناس.

روى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَتِهِ حَتَّىٰ يُبْتِغَاهُ لَهُ، أَثَبَتَ اللَّهُ تَعَالَىٰ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُلُّ الْأَقْدَامُ»  
وعن عبد الله بن مسعود قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ». ثُمَّ خَطَّ خَطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ قَالَ يَزِيدٌ: مَتَفَرِّقَةٌ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (أخرجه أحمد وغيره)

اللهم آمن يوم القيامة فزعنا، ويسر حسابنا، وثقل ميزاننا، وثبت على الصراط أقدامنا، ونجنا من النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار.